عوامل نشأة البلاغة العربيّة عند حمادي صمود

Factors of Arab eloquence at Hamadi Samud

أ. سعيد بن دويفع♥

إشراف: د. عدة قادة

تاريخ الاستلام: 29-04-2020 تاريخ القبــول: 02-03-2022

ملخّص: نهدف من خلال هذه الورقة البحثيّة إلى تقديم دراسة تحليليّة لأهم العوامل التي أسهمت في نشأة البلاغة العربيّة، وذلك وفق رؤيّة الباحث التّونسي حمادي صمود، الذي يعد أهم الباحثين البلاغيين العرب في العصر الحديث .هذا وتجدر الإشارة إلى أنّنا سنطرق خمسة أبواب مثّلت أهم الميادين التي كان لها التّأثير المباشر على نشأة البلاغة العربيّة وهي: الشّعر، القرآن الكريم، وجانب التّقعيد للغة العربيّة، والحاجة إلى التّعلّم والتّعليم، إضافة إلى المؤثرات الأجنبيّة، لتكون هاته الأخيرة بمثابة النّتائج المتحصل عليها من خلال الدّراسة.

كلمات مفتاحيّة: حمّادي صمود، البلاغة، النّشأة، العوامل، التّاريخ.

Abstract: We aim through in this paper, we present an analytical to provide study of the most important factors that contributed to the emergence of Arabic rhetoric According to the tunisian researcher Hamadi Samud, who is considered the most important Arab rhetorical researcher in the modern era .

It should be noted that through this study we will be able to go through five sections that represent the most important fields that had a direct impact on the genesis of Arabic rhetoric: Poetry, the Qur'an, the Arabic language's reincarnation, the need for education and leaming, as well as foreign influences to be the result of study.

♥جامعة ابن خلدون، تيارت الجزائر، البريد الإلكتروني: bendouifqq@gmail.com(المؤلّف المرسل).

Keywords: Hammadi;Sammud ;Rhetoric ;Foundation ;Factors History.

1-مقدّمة: عرفت البلاغة العربيّة عدّة محطّات أسهمت في تطوّرها وتبلور مفاهيمها شيئا فشيئا، لتصبح علما من أجلّ العلوم في العربيّة، حتى قال عنها صاحب المنهاج: "وكيف يظنّ إنسان أنّ صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزّمن القريب، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها، وإنّما يبلغ الإنسان منها ما في قوّته أن يبلغه"[1]. ونحن إذ نقرأ كلاما كهذا، وقد صدر عن رجل عاش في وقت لم تكن فيه لا أسلوبيّة، ولا بنيويّة، ولا تداوليّة، ولا غير ذلك ممّا يوحي بالحداثة، وأنّ الأمر كان متوقفا على البلاغة القديمة وحدها، نعلم أنّ علم البلاغة كان صعبا حتى في ذلك الوقت من الزّمان فما بالك بالوقت الذي نحن فيه؟

هذا وعلى الرّغم من الصّعوبة البالغة التي اكتنفت علم البلاغة قديما وحديثا، إلاّ أنّ هذا العلم لم يمنع العلماء والمجتهدين في الدّراسات البلاغيّة من العمل على إعادة دراستها بغيّة تجديدها وبعث الحياة فيها من جديد، على غرار ما قام به الباحث التّونسي حمادي صمّود في كتابه " التّفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس (مشروع قراءة)"، ولقد عُدّ هذا الكتاب في نظر بعض الدّارسين أكمل رؤيّة بلاغيّة في تاريخ البلاغة العربيّة، كقول الباحث المغربي محمّد العمري في تقديمه لكتابه "البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها"، "وقد سبقت هذا العمل – أي كتابه هو –أعمال مهمة، ولكنها قليلة، مثّلت في نظرنا مرحلتين متمايزتين: أ-مرحلة السّرد التّاريخي وتلخيص المحتويات: وأحسن من يمثّلها شوقي ضيف في كتابه "البلاغة تطوّر وتاريخ".

ب-مرحلة الكتابة من منظور حداثي لساني واع باختياره ومخلص له، وأكمل عمل يطمح لتقديم رؤيّة عامّة شاملة عن البلاغة العربيّة في هذا الإطار هو أطروحة حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب"[2]، وهذا القول من شأنه أن يعزّز العمل الذي قدّمه حمادي صمود في السّاحة الأدبيّة والفكريّة، خاصّة وأنّه قد صدر عن رجل له باع طويل في الدّراسات البلاغيّة تأريخا وتجديدا.

لقد قدّم حمادي صمود للبلاغة العربيّة سفرا جليلا، وجميلا أيضا، تطرّق فيه إلى تاريخ البلاغة العربيّة جاعلا الجاحظ المركز الأساسي لدراسته، حيث انطلق من حال البلاغة قبل الجاحظ (عوامل النّشأة والمادة البلاغيّة)، ثم حال البلاغة مع الجاحظ (خصائص المادة البلاغيّة في مؤلفاته، مفهوم البيان عنده، البيان باللغة، المتكلّم الكلام) ثم حال البلاغة بعد الجاحظ (البداية الحاسمة لفترة ما بعد الجاحظ، أهم قضايا التّفكير البلاغي إلى القرن السّادس الهجري) ولقد اقتطفنا من هاته الدّراسة المطوّلة التي قدّمها حمادي صمود، جانبا بسيطا جدّا، يتمثّل في العوامل التي أسهمت في نشأة البلاغة العربيّة، في خضم دراسة تحليليّة ننطلق فيها من معالجة الإشكاليّة التّاليّة :

أ-إشكاليّة البحث:

-ما هي أهم العوامل التي أسهمت في نشأة البلاغة العربيّة عند حمادي صمود؟

-ما موقع القرآن الكريم في ترتيب تلك العوامل، باعتبار أنّ البلاغة العربيّة سليلة القرآن الكريم؟

-وهل يمكن القول بأنّ حمادي صمود قد وُفّق في بلوغ مسعاه من الدّراسة التي قدّمها أم لا؟

ب-الفرضيات: وانطلاقا من مجموعة الأسئلة المذكورة آنفا، وأسئلة وإشكالات أخرى قد تصادفنا في هذا البحث، نكون قد رسمنا مجموعة من الفرضيات التي تتبني عليها الدّراسة وهي:

-احتمال أن تكون العوامل التي درسها حمادي صمود نابعة من صراع فكري إيديولوجي بين أنصار العروبة والذين يرون بأن جذور البلاغة عربي بحت، وأنصار التيار الغربي الذي يعيد البلاغة إلى أصول يونانيّة؛

-يمكن أيضا أن نضع دراسة حمادي صمود ضمن الدّراسات البلاغيّة التّجديديّة والتّأريخيّة على حد سواء؛

-من الممكن جدا أن نلمس التّوفيق في مسعى حمادي صمود من هاته الدّراسة إلا أننا سنواجه حتما مشكلة بارزة في البحث، وهي تقديم الشّعر على القرآن الكريم.

جـ-الأهداف: هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ دراستنا تصبو إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المسطّرة على النّحو التّالي:

- معرفة الجذور الاولى للتفكير البلاغي عند العرب؛
- معرفة أهم العوامل التي أسهمت في نشأة البلاغة العربيّة، وفق الرّؤيّة التي يطرحها حمادي صمود؛
- البحث في العلاقة التي تربط بين عوامل نشأة البلاغة العربيّة، وما مستوى تأثير كل واحد منها على تطور الدّرس البلاغي القديم؛
- معرفة أمهات الكتب الأولى التي سطّرتْ مسار البلاغة العربيّة؛
- الكشف عن علاقة البلاغة ببقيّة العلوم.

د-المنهجيّة: وعلى هذا الأساس فإنّ ما سنقدمه في هاته الدّراسة سوف يقوم على ضوء المناهج البحثيّة التّاليّة:

- **المنهج التّاريخي:** والمتمثل في رصد أمهات المؤلّفات البلاغيّة القديمة؛
- **المنهج التّحليلي:** ويتمثل في إعادة البحث والقراءة في النّصوص التي وظفها حمادي صمود في كتابه لأجل الاستشهاد والتّدليل.

01-عوامل نشأة البلاغة العربيّة عند حمادي صمود: لا غرو إن قلنا بأنّ البلاغة العربيّة نشأت بين أحضان القرآن الكريم، وأنّه العامل الأساسي الذي أسهم في تطورها، غير أنّ هذا لا يمنع من وجود عوامل أخرى كانت لها تأثيراتها على مسار البلاغة، كالتي تناولها حمادي صمود في كتابه "التّفكير البلاغي عند العرب" وهي: الشّعر، والقواعد، وطلب العلم، ثم تأثير العامل الخارجي، وقد جعلها حمادي صمود على هذا التّرتيب، يتوسّطها القرآن الكريم، الذي جاء في المرتبة الثّانيّة. هاته العوامل هي التي أسهمت في استقلال علم البلاغة بنفسه عن بقيّة العلوم حيث صارت له قواعده الخاصّة بعد أن كان مجرّد مصطلح يتم تداوله دون أيّ ضبط متّفق عليه بين عامة النّاس وخاصتهم، "ويمكن أن نعتبر الحوار الذي دار بين معاويّة بن أبي سفيان وصحار العبيدي، الإرهاصات الأولى لظهور فن البلاغة منذ العصر الجاهلي، فقد قال معاويّة: ما هذه البلاغة فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على السّنتنا. أو قال: ما تعدّون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز. قال معاويّة: وما الإيجاز؟ قال: أن

تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ"[3]. وسنقوم الآن بتتبع دراسة حمادي صمود لنستشف ماهيّة هاته العوامل واحدا إثر واحد على النّحو التّالي:

العامل الأوّل: الشّعر: يعدّ الشّعر العربي أوّل عامل كان له تأثير بارز على تبلور الفكر البلاغي العربي، خاصّة فيما يتعلّق بنشأة البلاغة، ولذلك أولاه حمادي صمود اهتماما بالغا، من خلال العودة إلى عدّة نصوص تتحدّث في ذات الشّأن كقول الجاحظ في كتابه الحيوان: "وعن محمّد بن سلام عن أبي جعدبة قال: ما أبرم عمر بن الخطاب أمرا قطُّ إلاّ تمثّل ببيت من الشّعر"[4]، إضافة إلى ذلك، أشار حمادي صمود على ما رواه ابن رشيق القيرواني من تشفُّع الشّعراء لأهلهم وذويهم كقوله: "واستعطف مالكَ بنَ طوقٍ لقومه بني تغلب وكانوا أفسدوا في عمله الطّرق فخافوه واستشفعوا بأبي تمام فقال في قصيدة مشهورة يخاطب بها مالكا[5]:

ورأيت قومك والإساءة منهـــمُ جرحى بظفر للزمان ونـــــاب
هم صيّروا تلك البروق صواعقا فيهم، وذاك العفو سوط عذاب
فأقل أسامة جرمها واصفح لها عنه، وهب ما كان للوهـــــاب

وتجدر الإشارة إلى أنّ الشّعر العربي والجاهلي منه على الخصوص، الذي كان مناط البحث والدّراسة التّحقيق من أجل جمع المدونة العربيّة، قد مرّ بمراحل عديدة حتّى وصل إلى النّضج الذي وصل إليه، وهذا يعني أنّه لم يكن ناضجا من الوهلة الأولى كما قد يظنّ البعض، وعلى هذا يقسّم الباحث محمّد أبو الأنوار الشّعر الجاهلي إلى ثلاثة أقسام هي: "المرحلة الأولى: كمرحلة الطّبع والتّلقائيّة، ويمثّلها أبو دؤاد الإيادي، وعبيد بن الأبرص، وامرؤ القيس وهو الأستاذ والرّئيس، والمرحلة الثّانيّة: وهي مرحلة الاحتراف الذي تمثله مدرسة زهير بن أبي سلمى، ويدخل في إطار هذه المرحلة قسيم آخر من الشّعراء يمكن تسميتهم بشعراء الاحتراف والحرفة ويمثّل هذه المرحلة كل من النّابغة الذّبياني والحطئيّة والأعشى، وأمّا المرحلة الثّالثة والأخيرة فهي مرحلة الاستقرار والانطلاق، بمعنى استقرار التّقاليد الفنيّة ثم الاتجاه إلى تجاوزها، وأبرز أعلام هذه المرحلة لبيد بن ربيعة"[6]، وهذا التّطور الذي عرفه الشّعر العربي الجاهلي قد أضفى عليه تميّزا خاصا، بخلاف الجانب الخطابي، ومن هنا "كان من الطّبيعي أن يحتل الشّعر تلك المكانة وأن يُعلّقوا به جملة الوظائف التي

نعلّقها نحن اليوم على الأدب والثّقافة ومختلف وسائل التّعبير المتوفّرة لنا، فقد كان وسيلتهم التي قيّدوا بها مآثرهم وصوّروا حياتهم فيها، من أحداث جسام، وأصلا يحتكمون إليه في بقيّة علومهم"[7]، ممّا جعل الشّعر يتبوّأ مكانة مرموقة عند العرب "ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم، وشاهِدَ صوابهم وخطئهم، وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم، وكانت ملكته مستحكمة فيهم، وكان رؤساء العرب منافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشّأن وأهل البصر لتمييزه عمّا حوله، حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجّهم"[8].هذا وقد ربط حمادي صمود وظيفة الشّعر باللغة و"الطّرق التي يتشكل حسبها البعد اللغوي، بحيث أنّه لا يتأتى لكل واحد من العرب أن يكون شاعرا، وهذا ما يدل على المكانة المرموقة التي حظي بها الشّاعر في السّلم الاجتماعي، واعتبارهم إياه مخلوقا من نوع خاصّ يتمتع بقدرات خارقة على الفطنة بما لا يفطن به النّاس والتّطلع إلى الغيب وإقامة علاقات مع عالم الجن والشّياطين"[9]، ولعلّ هذا ما عناه الشّاعر حين قال:[10] إنّي وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر. وعلى العموم فقد قسّم حمادي صمود الشّعر العربي إلى ثلاثة أقسام هي: قسم المفاضلة، وقسم التّنقيح، وقسم القدرة على صياغة الصّورة الفنيّة.

1-قسم المفاضلة: المفاضلة بين الشّعراء قديمة في تاريخ الأدب، وكانت تجري المشاحنات والمناظرات بشأن من هو الأشعر بين الشّعراء، وربّما ينتهي الجدل إلى الخصام والمشاكل، كما حدث في خصومة أم جندب، التي تمثّل الخيوط الأولى في جذور المفاضلة بين الشّعراء، إذ حكمت بين امرئ القيس -وهو زوجها -وبين الشّاعر علقمة، فلمّا غلّبت عليه علقمة في قصيدته البائيّة، طلّقها امرؤ القيس"[11] ومن جهة أخرى نجد أنّ المفاضلة وإن كانت تحمل بين طياتها معاني الافتخار والتّباهي الذي لا تكاد تخلو منه قبيلة من القبائل، إلاّ أنّه يحمل أيضا قيمة إيجابيّة تتمثّل في العمل على تجويد الشّعر عن طريق النّقد.

2-قسم التّنقيح: إنّ تنقيح الشّعر ما هو إلاّ وليد المفاضلة، ذلك أنّ انتشار هاته الأخيرة بين العرب وشيوعها، دفع بالشّعراء إلى إعادة النّظر في أبياتهم الشّعريّة قبل

عرضها على النّاس حتى تكون لهم الغلبة على خصومهم في حال الدّعوة إلى مفاضلة ما، ومن هنا جاءت المطوّلاتُ، وهي القصائد الطّوال التي زادت عن السّنة الكاملة حبيسة مخيّلة صاحبها قبل العرض، لا لشيء إلا خشيّة وجود عيب ما فيها ومما يستشهد به على وجود التّنقيح في الشّعر العربي قول كعب بن زهير:[12].

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعبٌ وفوّز جرولُ

3-قسم الصّور الفنيّة: ومع وصولنا إلى هذا القسم نكون قد تعمّقنا أكثر في الفكرة التي انطلقنا منها فيما يتعلّق بالمفاضلة بادئ الأمر، فقد ذكرنا سابقا المفاضلة بين شاعرين وقلنا أنّها كانت سببا في ظهور التّنقيح، وها نحن الآن نضيف أمرا آخر مفاده أنّ التّنقيح هو الآخر كان سببا في ظهور ما يسميه حمادي صمود بـ "المباحث اللغويّة"، والتي يعني بها اكتشاف بعض النّقاد في العصر الجاهلي – سواء كانوا شعراء أم غير شعراء – لزلاّت تكون في شعراء آخرين، لا تتعلّق باللغة أو الأسلوب كما في المفاضلة، ولا بالوزن أو القافيّة كما في التّنقيح، وإنّما في تلك الإيحاءات التي قد يرمي إليها بعض الشّعراء دون قصد منهم، أو دون اهتمام لوجودها وفيها هلاكهم ومثال ذلك ما كان من أمر زهير مع ابنه كعب، وإشفاقه عليه من قول الشّعر صبيًّا إضافة إلى ما قاله الشّاعر التّغلبي طرفة بن العبد في حق خاله حين وظّف خاله كلمة "الصّيعريّة"، للدلالة على الجمل، فقال طرفة: استنوق الجمل، أي أنّه جعل وصفا خاصًّا بالنّاقة للدلالة على ما يخص الجمل، فدهش القوم لنباهة طرفة وقال عنه خاله: ويل لهذا الفتى من لسانه. هذا "وقد تواصل الاهتمام بالشّعر في العصور المتأخرة، وكانت العلوم الإسلاميّة النّاشئة تستغله من الوجهة التي تناسب موضوع بحثها، ولعلّ من أشهر من اهتمّ به في الفترة التي تهمّنا طبقات اللغويين والنّحاة، فقد شدّوا الرّحال إلى مختلف القبائل يروون عنها الشّاهد والمثل، ويقيّدون ذلك في نطاق ما يُسمى في تاريخ العلوم بحركة الجمع"[13]، وهذا القول يقودنا إلى عامل آخر من عوامل نشأة البلاغة عند حمادي صمود، هو "التّقعيد للغة"، وهو ما سنتناوله في حينه إن شاء الله تعالى. إنّ الأقسام الثّلاثة التي قدّم بها حمادي صمود الشّعر الجاهلي، وذكر في ذلك نصوصا كالتي قد أوردنا بعضها، كان لها تأثير مباشر على نشأة البلاغة العربيّة والذي يتمثل في أنّ حرص العرب على تطوير وتهذيب أشعارهم

من المفاضلة إلى التّنقيح إلى الصّور البيانيّة الرّاقيّة، قد أدى بعد ذلك إلى تسهيل البحث في الدّرس البلاغي وفي تطويره، ولو لم يكتسب العرب في مراحل ما القدرة على تجويد الشّعر لما كانت لهم بعد ذلك مقدرة على تطوير البلاغة.

العامل الثّاني: القرآن الكريم: القرآن الكريم هو كلام الله عزّ وجلّ، المنزّل على خاتم أنبيائه سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، بلفظه ومعناه، المنقول بالتّواتر، المفيد للقطع واليقين، المكتوب في المصاحف من أوّل سورة الفاتحة إلى آخر سورة النّاس (...) وهو المعجزة العظمى والحجّة البالغة الباقيّة على وجه الدّهر لرسول البشريّة سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، تحدّى به النّاس والجنّ أن يأتوا بمثله أو ببعضه فباءوا بالعجز، وقد وقع التّحدي على مرّات متعدّدة كي تقوم عليهم الحجّة تلو الحجّة وتنقطع المعذرة"[14]. ويعتبر حمّادي صمود بأنّ نزول القرآن الكريم كان أهم حدث في تاريخ الشّعوب العربيّة والإسلاميّة، ومن الخصائص التي تميّزت بها هذه الرّسالة السّماويّة "بالإضافة إلى جمعها بين البعد الرّوحي العقائدي والبعد الدّنيوي المدني، أنّها اتخذت من شكلها اللغوي حجّة لنبوّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي اصطفاه الخالق ليبلّغ عنه فكانت معجزته من خصائص اللغة في الرّسالة وجودتها، زيادة عمّا يحتويه من أخبار عن الغيب وقصص عن الأمم السّالفة، ترد على لسان أمّي لا يعرف القراءة والكتابة ومِن تحدّيه مَن نزل عليهم وهم أهل الفصاحة والبيان، أن يأتوا بشيء مثله"[15]، فلم يقدروا. وتعدّ قضيّة الإعجاز في نظر صمود أهم القضايا التي دلّت على قوّة حجّة النّبي صلّى الله عليه وسلّم على الرّغم من عناد بعض المعاندين، وتعنّت بعض المتعنّتين وهو ما أدى إلى نشوب صراع فكري عقائدي بين أنصار الدّين الإسلامي الحنيف وأنصار أولئك المعاندين من الجاهليين المتعنتين الظّالمين، وكان هذا الصّراع غالبا ما يعود إلى مسألة الإعجاز نفسها، كما كان الحديث عن الصّرفة باعثا للبحث في لغة الخطاب القرآني، وخصائصها ممّا استوقف الدّارسين على كثير من المباحث البلاغيّة، ومن هذا المنطلق، اندفع "مفكّرو الإسلام المتأخّرون، نحو النّص القرآني لدراسته دراسة تقوم على الدّليل العقلي والحجّة الدّامغة، كالذي نجده لدى المتكلمين وخاصّة منهم المعتزلة، إضافة إلى باقي الفِرَق

الإسلاميّة، وبذلك كانت استفادة البلاغة العربيّة عظيمة وكبرى"[16] وهي استفادة يضعها حمادي صمود على مستويين:

المستوى الأوّل: هو الذي يتعلق بقضيّة الإعجاز وتأويل بعض المعتزلة لذلك وما نشأ عنه من ردود فعل تواصلت إلى وقت متأخر جدّا، بل إلى العصر الحديث"[17]، وقد أولى المعتزلة البلاغة عناية خاصّة، ورأوا فيها وجها قويّا من وجوه الإعجاز، فقد نزل القرآن على أهل البلاغة، وأرباب الفصاحة، فإذا ببلاغة القرآن تقطع قول كل بليغ، وإذا بفصاحة القرآن تربو على كل فصاحة، لذا فقد غدا المعتزلة يبحثون في البلاغة القرآنيّة علّهم يدركون سرّ هذا الإعجاز، فقدموا لنا تراثا ضخما من الدّراسات البلاغيّة المتعلقة بالقرآن، فالمعتزلة رأوا أنّ البلاغة تأتي على طبقات وأنّ القرآن الكريم أحد هذه الطّبقات، وإن كان في قمّتها"[18]، وفي هذا المستوى تبرز قضيّة الصّرفة، "والصّرفة أو الصّرف، في اللغة، يعني أن تصرف إنسانا عن وجه يريده إلى مصرف غير ذلك، أمّا معناها الاصطلاحي الذي يكاد يتفق عليه معظم القائلين بها فهو: صرف الله همم العرب عن معارضة القرآن"[19]. ويعدّ إبراهيم النّظّام أحد أبرز المتكلّمين المتحمسين لمسألة الصّرفة، وقد فتحت بابا واسعا لعلماء البلاغة لولوج عالم القرآن الكريم، ومعرفة خصائصه اللغويّة ومدى تأثيرها على المباحث البلاغيّة، كما كان النّظام ممّن عني بالفلسفة اليونانيّة، وممّن شغف بها إلى درجة الحفظ الجيد لبعض المؤلّفات، فعن "ابن المرتضى، أنّ جعفر بن يحيى البرمكي ذكر أرسطاطاليس فقال النّظّام: قد نقضتُ عليه كتابه، فقال جعفر: كيف وأنت لا تُحسن أن تقرأه؟ فقال: أيّهما أحب إليك، أن أقرأه من أوّله إلى آخره أو من آخره إلى أوّله؟ ثم اندفع يذكر شيئا فشيئا وينقض عليه، فتعجّب منه جعفر"[20]. ويرى حمادي صمود أنّ "المهم من كل هذا أنّ رأي النّظام قد دفع علماء المسلمين على اختلاف مللهم ونحلهم إلى الخوض في مسائل تنصبُّ على خصائص النّص القرآني لغة وتراكيبًا، ممّا سيكون عظيم الفائدة بالنّسبة للمباحث البلاغيّة وسيخلق نهجا في التّأليف يكون رافدا من روافدها الكبيرة، وليس من المبالغة في شيء أن نقول إنّ الدّراسات التي تحرّكت من هذا المنطلق ستثمر عن أهم نظريّة –بإجماع الباحثين –في تراثنا البلاغي هي: نظريّة النّظم"[21]، ومن هنا نقول بأنّ حمادي صمود قد لفت انتباهنا إلى دور القرآن

الكريم في بعث البلاغة نحو أفق رحب عرفت فيه المعنى الحقيقي للتطور والازدهار*.

المستوى الثّاني: ويمثل هذا ما اضطرَّ إليه المعتزلة من تأويل لكثير من الآليات التي يتنافى ظاهرها مع أصولها العقائديّة –خاصّة مبدأ التّوحيد –فحملوا هذه النّصوص على المجاز وأصبح هذا المظهر اللغوي الموضوعي دعامة لمبادئهم، ممّا جعلهم يهتمّون به ويفيضون في شرحه"[22]، وفي هذا نجد المعتزلة يعمدون إلى المنطق في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، فهُم لا يأخذون باللفظ ومدلوله، وإنّما يؤوّلون ويُفسّرون ويقرؤون ما وراء الكلمة والحرف، وتفسير القرآن الكريم لا ينبغي أن يؤخذ إلاّ عن الذين آتاهم الله علما واسعا، ومعرفة بكلام العرب، وأحاديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فضلا عن الفتح الرّباني الذي لا يكون إلاّ من عند الله تعالى ولقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنه من أشهر مفسري القرآن في التّاريخ.

ومن الأمثلة التي أوردها صمّود فيما يتعلق بتفسير ابن عباس، استشهادُ "الجاحظ في كثير من ردوده على الذين يأخذون بظاهر اللفظ، برأي عبد الله بن عباس وبنائه على ذاك الرّأي"[23]، كتعليقه –أي ابن عبّاس –على قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة النّمل : 82]، يقول الجاحظ : "وكان عبد الله بن عبّاس يقول: ليس يعني بقوله: "تُكَلِّمُهُم " من الكلام، وإنّما هو من الكَلْمِ والجُرح، وجمع الكلم كُلُوم ولم يكن يجعله من المنطق بل يجعله من الخطوط والوسم، كالكتاب والعلامة اللذين يقومان مقام الكلام والمنطق"[24]. وفي كتابه "علم البيان" يشير عبد العزيز عتيق إلى أنّ "أوّل كتاب يلقانا من كتب علماء الكلام الذين اهتموا بالمباحث البلاغة من أجل تفسير الإعجاز البلاغي في القرآن هو كتاب النّكت في إعجاز القرآن للرماني المعتزلي المتوفّى سنة 386هـ وكتاب النّكت هذا، بمشتملاته ومضمونه والجديد فيه، له أثر واضح في تاريخ البلاغة العربيّة، فقد عرّف فيه بعض ألوانها تعريفا نهائيا، وميّز أقسامها وأفاض في شرحها"[25]. ويخلص حمادي صمود إلى أنّ القرآن أسهم في نضج ونمو التّفكير البلاغي وهو ما يظهر في العناصر التّاليّة: [26]

أ–ربط مباحث البلاغة بغائيّة قصوى في فهم النّص القرآني.

ب–إحلال المبحث البلاغي محلّ الوسيلة للوصول إلى مقاصد الرّسالة الدّينيّة جعل البلاغيين يلحّون على البيان بالمعنى اللغوي الأصلي أو الوظيفة الإفهاميّة.

جـ–تبيُّن خصائص النّص القرآني التّركيبيّة على هدي الشّعر وأساليب العرب في التّعبير، جعل العلماء المسلمين على اختلاف انتمائهم المذهبي يشتركون في جملة من التّصورات العامّة وتكون لهم إزاء بعض المظاهر نفس المواقف.

د–الأهميّة البالغة التي اكتسبتها بِنيّة النّص القرآني، جعلت المباحث المتعلقة بها ماثلة في أغلب العلوم المنطلقة من القرآن.

هـ–ارتباط الدّراسة اللغويّة بالقرآن صَبَغَ مجمل مباحثها بصبغة عقائديّة، بحيث يصعب علينا أن نلمّ بإشكالاتها مجرّدة عنها.

العامل الثّالث: تقعيد اللغة: تكتسي حركة جمع اللغة وتقعيدها عند العرب أهميّة خاصّة، لما ألمّ بها من ظروف ساعدت على ربط الصّلة بين العمل النّحوي والتّفكير البلاغي، واضطرَّتِ اللغويين إلى التّعرض إلى جملة من المسائل أُلحقت في وقت متأخّر بالبلاغة بينما كانت في مؤلّفاتهم شديدة الصّلة ممتزجة به"[27]، وبالرّغم من هذا فإنّ الدّراسات البلاغيّة لم تكن بعيدة كل البعد عن التّقعيد، بل كان لها حظ وافر منه، خاصّة وأنّها اعتمدت بشكل كبير على الشّعر والقرآن الكريم اللذين يعتبران محور التّقعيد اللغوي، "وقد اعتمد العلماء على السّماع شفاهًا من أفواه العرب أنفسهم فقد حدّد اللغويون العرب إطارا مكانيا يقبلون منه اللغة، كقبائل وسط الجزيرة العربيّة وابتعدوا عن اعتماد ما جاء على لسان القبائل الواقعة في أطراف الجزيرة والمتاخمة للفرس والرّوم، كما حدّدوا إطارا زمانيا ينتهي بنهاية القرن الثّاني الهجري للقبائل الواقعة في أطراف الجزيرة العربيّة، وحتى نهاية القرن الرّابع بالنّسبة للقبائل الواقعة في وسط الجزيرة"[28]، ويعدّ مصطلح "الفصاحة"، المفهوم الذي من خلاله يتم تحديد المنطقة التي يُقعّد منها للغة من المنطقة التي لا تصلح للتقعيد، وهذا المصطلح – أي الفصاحة –لا يتأتى إلاّ وفق ثلاثة شروط، أوّلها تجنب العجمة واللحن، ومعنى ذلك أن يتخلل بعض الكلام مفردات من غير كلام العرب، وهو ما قد نجده في القبائل المتاخمة للروم والفرس، من خلال التّعامل بين هؤلاء وأولئك، وثانيها، سلامة

اللسان من اللكنة، ومعنى ذلك أن يصعُب على المتكلّم النّطق بحرف أو أكثر على سليقته، أي على حقيقته، وهذا أيضا يكون من كثرة مخالطّة العجم وقلّة مخالطّة الفصحاء من العرب الأقحاح، وأمّا الشّرط الثّالث فهو، ارتفاع اللهجة عن الطّرق المشينة في النّطق، ومعنى ذلك ألّا يكون في اللهجة – أي لغة القبيلة –ما يشير إلى الصّعوبة في النّطق بالكلمات وإيصال المعاني حرفا أو أسلوبا، وعلى اللغة أن تكون سَلِسَةً، سهلة في التّراكيب وقويّة معبّرة في المعاني، "وقد جمع أبو هلال العسكري هاته الشّروط تحت ما سماه "تمام آلة البيان"[29]. ولقد كان لهاته الشّروط التي وضعها اللغويون في الدّلالة على المصطلح الفصيح، الصّالح لوضع القاعدة، تأثير كبير على صوغ مفهوم البلاغة، ومن هنا يتجلى الدّور البارز للتقعيد في نشأة البلاغة العربيّة عند حمادي صمود، إلاّ أنّه يعتبر بأنّ عمل اللغويين هذا فيه تناقض جليٌّ، فكيف يُعقل أن توضع شروطٌ ما؛ للبحث في فصاحة اللفظة دون مراعاة ما هو أهم من ناحيّة الأسبقيّة، وهو عامل الخطأ والصّواب، أي استقامة اللغة، "بمعنى أنّهم أرادوا بناء النّحو على مستوى لغوي فيه من الخصائص ما ليس في غيره، ممّا يدلّ على أنّه أسمى من اللغة المشتركة في ذلك الوقت"[30]. هذا وقد اعتبر صمود بأنّ أحسن من يمثل هذه المرحلة – مرحلة التّقعيد –هو ابن جني (ت 392هـ)، "فلقد ذكر في مواطن حديثة عن الحقيقة والمجاز، جملة من الملاحظات على غاية من الأهميّة، سواء تعلّق الأمر بالتّعريفات أو بالمصطلحات المستعملة أو بتحديد وظيفة كُلٍّ منهما"[31]، يقول ابن جني في تعريف الحقيقة والمجاز: "الحقيقة: ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصلِ وضعِهِ في اللغة؛ والمجاز: ما كان بالضّدّ من ذلك، وإنّما يعق المجاز ويُعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتساع، والتّوكيد، والتّشبيه، فإنّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"[32]، ولم تقف مشاركة اللغويين في بلورة المسائل البلاغيّة عند هذا الحد، نظرا لارتباطها الوثيق بالنّحو، فخاضوا في دلالات التّركيب، ووقفوا في ذلك على جملة من القوانين الهامة وعلّلوا الأمور بطريقة تدعو إلى الإعجاب أحيانا، وعندهم نجد بذور ما يُسمّى اليوم بـ "علم المعاني السّياقي"، ولعلهم لو تعمّقوا في البحث أكثر ممّا فعلوا لخرجوا بنظريّة متكاملة في الموضوع"[33].

العامل الرّابع: الحاجة إلى التّعلم والتّعليم: ليست الحاجة إلى التّعلم والتّعليم من عوامل نشأة البلاغة فحسب، بل هي من عوامل نشوء كل علم على وجه البسيطة، إلاّ أنّ إيراد حامدي صمود لهذا العنصر إنّما جاء بسبب أنّ العرب كانت أمّة قليلة الكتابة، تعتمد بشكل كبير على قوّة الحافظة، أي على الذّاكرة القويّة، وعلى المشافهة لا المراسلة، وبالتّالي كانت أقوال كبار البلغاء لا تدوّن في كُتُبٍ معروفة ممّا أدى إلى قلّتها وقربها من العدم، فكانت الحاجة إلى تعليمها، ثم الحاجة إلى تعلّمها ومن ثمّ تعلم البلاغة كلّها، من أهم العوامل التي أسهمت في نشأة علم البلاغة. هذا وقد تحدّث حمادي صمود عن الأسباب التي أدّت بالعرب إلى التّعلم والتّعليم وقد كان من أهمها الانتقال من الباديّة إلى المدينة، ما أسفر عن العديد من التّبعات منها: أ–الابتعاد عن مهد لغة العرب وشعرهم ومهبط قرآنهم، ب–فساد اللسان وشيوع اللحن، جـ–دخول الأعاجم في الإسلام؛ وقد تضافرت هذه العوامل على خلق ملابسات حضاريّة وفكريّة جديدة، وصراعات مذهبيّة، وتوترات في بنيّة المجتمع أسهمت بقسط وافر في إذكاء الجدل والاحتجاج حول قضايا كان بعضها متّصلا بمقومات الحضارة العربيّة الإسلاميّة من الوجهة اللغويّة والبيانيّة"[34]. كذلك أدّت الحاجة إلى التّعلم، إلى تغيّر واضح في تركيبة المجتمع العربي، فبعد أن كان المجتمع في الجاهليّة وصدر الإسلام، مجتمعا بسيطا –من النّاحيّة التّعليميّة – يسهل على أيٍّ كان تصنيفه، أصبح بعد التّعلم مجتمعا أكثر تعقيدا، واتساعا، فأنت لا تستطيع أن تكتفي بصنفين فقط، هما المتعلمون وغير المتعلمين، كما كان من قبل، بل إنّك تكون مضطرّا إلى ذكر تصنيفات أخرى حتى بين المتعلّمين أنفسهم فهناك المتعلّم في الدّين، والمتعلّم في اللغة، والمتعلّم في السّياسة، والمتعلم في الأدب، ... الخ، وفي خضم هذا التّغيير الكبير في نظام المجتمع العربي، لا من النّاحيّة التّركيبيّة (عربا وعجما)، ولا من النّاحيّة الفكريّة، والعلميّة الدّينيّة (قرآن شعر لهجات متعدّدة ... الخ)، ظهرت فئات جديدة في المجتمع تسهر على مواكبة هذا التّغيّر، منها فئة المؤدّبين أو المعلمين، "ويبدو أنّ هذه الفئة لم تكن –رغم اجتماع أهلها على صناعة واحدة –لم تكن متجانسة، لا من حيث أصل من ينتمي إليها، ولا في مادة تعليمها وغايتها، ولا حتى من حيث اهتمامُها بمظاهر اللغة والأسلوب"[35] ولذلك يقسّم صمود فئة المعلمين إلى

ثلاثة طوائف، أمّا الأولى، فـ "يرتبط ظهورها بالدّولة الأمويّة، وقد كانت تقوم على تربيّة أولاد الخاصّة وأولاد أولي الأمر المرشَّحين للخلافة"[36]، وأمّا الثّانيّة، "فهي طائفة شديدة الصّلة ببيئة المتكلّمين والمعتزلة، فهُم يعتبرون تعلّم البلاغة غاية في حدّ ذاته، تمكّنهم من اكتساب أداة ناجعة يظهرون بها على خصومهم في المناظرات والمجادلات"[37]، "وهي التي تقوم على تأديب الكُتّاب الملحقين في مؤسّسات الدّولة بديوان الرّسائل والكتابة، ويعود ظهور هذه الطّبقة إلى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والخلفاء الرّاشدين"[38]. وكان من فوائد فئة المؤدّبين –أو المعلّمين –وحتّى الكتّاب، أن أسهموا في بلورة التّفكير البلاغي عند العرب كما يرى حمادي صمود، الذي أبرز تلك الفوائد في ما يلي:[39]

أ–الخوض في ما هو مشترك بين مختلف فنون القول التي تستعمل فيها اللغة استعمالا واعيا، يرتبط بمقاصد الخطاب.

ب–إبراز ما يجوز في فن وما لا يجوز في آخر، فربطوا بين الفن وأسلوبه وكأنّهم أشاروا بذلك إلى الفصل بين الأنواع الأدبيّة وإن بقي ذلك في مستوى بسيط تحت ظلال التّقسيم الثّنائي الكبير: المنظوم والمنثور.

العامل الخامس: المؤثّرات الأجنبيّة: ليس المقصود بالمؤثرات الأجنبيّة كل ما يأتي من الشّعوب التي دخلت الإسلام حديثا، من عادات وتقاليد وعلوم وغيرها ... الخ، وإنّما المقصود هو الاقتصار على العلوم فقط، وبالتّالي فإنّ المؤثّرات الأجنبيّة هنا تتعلق بشكل أساس بالفلسفة اليونانيّة، ثم تليها الفلسفتان الفارسيّة والهنديّة، ويعود البحث في تأثير العنصر الأجنبي على نشأة البلاغة العربيّة، في نظر حمادي صمود إلى نهاية الثّلث الأول من القرن العشرين، أي أنّه ليس وليد اليوم، وهو –أي صمود – يُجمل كافة مظاهر التّأثير في محورين رئيسيين، "محور تاريخي حضاري عام ومحور نسميه "نصيًّا"، ونعني به جملة الإشارات والأدلة المستخلصة من البلاغة العربيّة نفسها"[40] "فقد تغذّت البلاغة العربيّة بلبان الفلسفة والبلاغة اليونانيّة واصطنعت كثيرا من مناهجها وأدواتها دون عقوق لمنبعها الأصيل، أو مساس بعبقريّة لغتها الخاصّة"[41].

أ-**المحور التّاريخي:** يتجلى هذا المحور في حالة التّثاقف والتّعالق الفكري التي عرفتها البلاغة العربيّة مع غيرها من البلاغات، إضافة إلى أسبقيّة التّأليف عند الشّعوب الأعجميّة وتأخُّره عند العرب، وفي هذا السّياق يذكر حمادي صمود "أنّ أولى المؤلفات التي يمكن أن تعدّ، بلا ريب، صريحة النّسب إلى البلاغة تنتمي إلى نهاية القرن الثّالثّ وبداية الرّابع، وهي فترة صادفت ازدهار حركة التّرجمة ونقل الفكر الأجنبي، اليوناني خاصّة، غلى اللغة العربيّة، إمّا مباشرة أو عن طريق اللغة السّريانيّة، زد على ذلك أنّ التّراجِمة وقعوا على كتب لها علاقة مباشرة بمشاغل البلاغة هما كاتبي "الخطابة" و"الشّعر" "لأرسط"[42].

أ-**1-كتاب الخطابة:** من العلماء العرب الذين عنوا به عناية كبيرة: الفارابي (ت 339هـ)، وابن سينا (ت 428هـ)، وابن رشد (ت 595هـ) ... الخ.

أ-**2-كتاب الشّعر**: ولهذا الكتاب ترجمتان بقيت لنا منهما واحدة تنسب إلى "متى بن يونس القنّائي (ت 328هـ)"[43]، إضافة إلى عمل كل من: ابن سينا في "فن الشّعر"، وابن رشد في " تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشّعر.

إنّ لكتابي أرسطو المذكوريْن دورا هاما في التّأليف البلاغي العربي خاصّة في زمن ما بعد النّشأة، أي في زمن انفصال العلوم البلاغيّة عن بقيّة علوم اللغة والأدب وظهور ما يسمّى بعلم البديع كأوّل علم منفصل، لذلك يقول صمود: "نستنتج ممّا سبق أنّ كتابي "الخطابة وفن الشّعر"، كانا مترجمين في فترة شهدت بوادر التّأليف المستقل في فن البلاغة، مع كتاب "البديع" لعبد الله بن المعتز (ت 296هـ)، ونهجًا في نقد الشّعر لم نصادف مثله في المحاولات السّابقة، نعني بذلك "نقد الشّعر" لقدامة بن جعفر (ت 328هـ)"[44]، ولابد من التّنويه هنا بأنّ هاته الأهميّة البالغة التي عني بها كل من "فن الشّعر" و"فن الخطابة" لأرسطو، لا تعني أنّ البلاغة العربيّة لم تكن لتعرف النّور إلاّ بوجودهما أو بوجود البلاغة اليونانيّة عموما، فهذا أمر غير مقبول ولا معقول لأسباب كثيرة منها:

– أنّ البلاغة العربيّة نشأت أوّل الأمر في بيئة لا تعرف لليونان ولا لعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم معنى، فضلا عن فلسفتهم وبلاغتهم؛

– أنّ التّطور البلاغي بدأ مع القرآن الكريم والقرآن فقط، ولو كان هناك سبب آخر يعدل تأثير القرآن الكريم، لكانت البلاغة قد عرفت التّطور معه؛

– أنّ المؤثّرات الأجنبيّة التي ذكرناها الآن، لم يوردها صمود إلا بعد إيراده لأسباب أخرى كانت قد سبقتها، وهي الشّعر، والقرآن، والتّقعيد ... الخ.

ب–محور الأسباب النّصيّة: وفي هذا المستوى يستشهد صمود كثيرا بأعمال الجاحظ التي قسّمها حسب المواضيع المدروسة على النّحو التّالي:

ب–1: في التّأريخ لميلاد الشّعر العربي: ففي سياق "الحيوان" المشهور الذي يؤرّخ فيه ميلاد الشّعر العربي، يذكر دفعة واحدة، وبدون تخصيص، كُتُبَ أرسطاطاليس، وأفلاطون، وبطليموس، وديموقراطس"[45]، فيقول: "وأمّا الشّعر فحديثُ الميلاد، صغير السّن، أوّل من نهج سبيله، وسهّل الطّريق إليه: امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة، وكتب أرسطاطاليس ومعلّمه أفلاطون، ثمّ بطليموس، وديقراطس وفلان وفلان (...) وإذا استظهرنا الشّعر، وجدنا له –إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام "[46].

ب–2: في إبراز أهميّة الوزن في الشّعر العربي: يشير الجاحظ في نطاق إبرازه أهميّة الوزن في الشّعر العربي، إلى تراث ثلاث أمم هي الهند، والفرس واليونان مقترنة بأفعال تفيد التّرجمة والتّحويل، مُشفّعا ذلك بحكمٍ مفاده أنّ هذا التّراث إن لم يزدد بالنّقل حسنا، فلم ينقص من أصله شيء"[47]، يقول: "وفضيلة الشّعر مقصورة على العرب، وعلى من تكلّم بلسان العرب، والشّعر لا يُستطاع أن يُترجم، ولا يجوز عليه النّقل، ومتى حوِّل تقطّع نظمُه، وبطُل وزنه، وذهب حُسنه، وسقط موضع التّعجب "[48].

ب–3: الحاجة إلى إفهام المعاني: كما أشار الجاحظ، وهو يؤكّد على حاجة الكتاب إلى إفهام معانيه، إلى "المنطق"، مقرّرا أنّ أكثره يستعصي على أفهام الخطباء والبلغاء، لأنّ تمثُّله يحتاج إلى أن يكون السّامع عرف جهة الأمر وتعوّد اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام، والغالب على الظّنّ أنّه يعني منطق أرسطو الذي قد يكون الجاحظ اطّلع عليه"[49]، يقول: "وليس الكتاب إلى شيء أحوج منه إلى

إفهام معانيه، حتى لا يحتاج السّامع لما فيه من الرّويّة، ويحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السّفلة والحشو، ويحطّه من غريب الأعراب ووحشي الكلام"[50].

ب-4: في الفرق بين العلم بالشّيء وممارسته: وذكر من اليونان "ديسيموس" في مناقشة الفرق بين العلم بالشّيء وممارسته، وكيف أنّ النّاقد قد يكون كالمِسنّ يشحذ ولا يقطع"[51]، يقول: "وقال بعضهم: ما بال ديسيموس يعلّم النّاس الشّعر ولا يقول الشّعر؟، فقيل: ديسيموس كالمسنّ الذي يشحذ ولا يقطع"[52].

ب-5: في اللغة والأسلوب: يشير حمّادي صمود في هاته القضيّة إلى خصائص لغات العرب، التي تكلّم عنها الجاحظ طويلا في كتابه "الحيوان"، فهو "يذكر كلّما سنحت الفرصة، خصائص بعض اللغات الأخرى، وينقل مباشرة عن الأجانب في قضايا لغويّة صرف، تحتل مكانة هامّة في تفكيره وأدبه، فربط اللغة بالحاجة وتأثيرها في الخواطر وتصاريف الألفاظ وهو مبدأ أخذه عن الهنود"[53]، "وتعتبر الصّحيفة الهنديّة، من أبرز السّياقات وأوضحها دلالة على امتزاج الثّقافة العربيّة بثقافات أجنبيّة واستفادة البلاغة في أطوارها الأولى من موروث الحضارات الأخرى"[54].

ب-6: في الخطابة العربيّة: في الخطابة العربيّة ينتقل صمود من كتاب "الحيوان" للجاحظ، إلى كتابه الآخر "البيان والتّبيين"، حيث يقول: "وفي البيان والتّبيين سياق آخر لا يقل أهميّة عن غيره، بذل فيه الجاحظ قصارى جهده لينفي عن بقيّة الأمم سمة البلاغة والفصاحة، ويخصّ بها العرب دون غيرهم، لكنّه لم يستطع أمام الحجة القاطعة والوثائق التّاريخيّة إلاّ أن يسوي بين الفرس والعرب في الخطابة ويفضّل بالبديهة والارتجال والطّبع"[55]، وممّا جاء في البيان والتّبيين للجاحظ، في كون الخطابة قسيمة كل الأمم قوله: "والخطابة شيء في جميع الأمم، وبكل الأجيال إليها حاجة، حتى إنّ الزّنج مع الغثارة ومع فرط الغباوة ومع كلال الحدّ وغلط الحس وفساد المزاج، لتُطيلُ الخُطب وتفُوق في ذلك جميع العجم، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ وألفاظها أخطل وأجهل، وقد علمنا أنّ أخطب النّاس الفُرس، وأخطب الفرس أهل فارس، وأعذبهم كلاما وأسهلهم مخرجا وأحسنهم دلاّ، وأشدهم فيه تحكُّمًا، أهل مرو وأفصحهم بالفارسيّة الدّريّة ..."[56]. وإضافة إلى الأدلّة المتعلقة بالجاحظ، يورد حمادي صمود مؤلّفا آخر من معاصري الجاحظ يسمى إبراهيم بن المدبّر (ت279هـ)، الذي

"أشار إلى أرسطو مرتين في مواضع حساسة وطريفة في البلاغة العربيّة، ولكنّه سكت عن المصدر الذي استقى منه ذلك، تتعلّق الأولى ببحثهم في أنواع الدّوال وضروب الوسائل اليت يمكن أن تؤدي معنى، سواء استُعملت الرّموز اللغويّة أو لم تستعملها، وهو ما يدخل اليوم في نطاق "علم العلامات"، يقول: والدّال على المعنى أربعة أصناف: لفظ وإشارة، وعقد، وخط، وذكر أرسطاطاليس صنفا آخر وهو النّصبة"[57]. وأمّا الإشارة الثّانيّة فهي إيراده تعريفا للبلاغة منسوبا إلى أرسطو وهو قوله: البلاغة حسن الاستعارة، ولم نستطع الوقوف على المصدر الذي أخذ منه ابن المدبّر هذا التّعريف، فهو ليس في "خطابة أرسطو"، ولا في "شعره"، بالإضافة إلى أنّنا نرجّح أنّ ترجمتهما وقعت بعد وفاة الرّجل، سياقا يشبه ما أثبته في رسالتّه، بل إنّ من الباحثين من يجزم بأنّ أرسطو لا يعرف كلمة "استعارة" بل كلمة "نقل"، و"مجاز" أمّا الفلاسفة المسلمون الذين شرحوا كتابَيْ أرسطو فإنّهم يستعملون هذا المصطلح ولكنهم لم يقرنوه البتّة بالبلاغة"[58]. كذلك؛ من العلماء المسلمين الذي ألّفوا في البلاغة العربيّة وقت النّشأة، والذي ذكره حمّادي صمّود إضافة إلى الجاحظ وابن المدبّر، المؤلّف البلاغي قدامة بن جعفر، وقد اعتُبر مؤلف "نقد الشّعر"، أوّل تجسيم للمؤثّرات الأجنبيّة في النّقد العربي"[59]، إلاّ أنّه –أي صمود –لا يضع قدامة وسابقيْه في كفّة واحدة، وقد رأى بأنّه "لم يحل على التّراث الأجنبي إلا مرّتين، أمّا الأولى فهي في ذكره فلاسفة اليونان إجمالا عند مناقشة قضيّة الغلو في الشّعر، يقول: "الغلو هو ما ذهب إليه أهل الفهم من الشّعراء قديما وحديثا، حتى قال بعضهم: أعذب الشّعر أكذبه، وكذلك ذهب فلاسفة اليونان في الشّعر على مذهب لغتهم، والغلو من باب الخروج عن الموجود والدّخول في باب المعدوم، فالمراد به المثل وبلوغ النّهاية في النّعت"[60]، وأمّا الثّانيّة فهي ما أورده في القسم المخصّص للمعاني بمناسبة حديثه عما سماه "عمى القوة المميزة" فذكر كتاب أخلاق النّفس لجالينوس، ويبدو أنّه لم يبق من هذا الكتاب إلاّ ملخّص عربي ليس فيه ما يمكن أن يكون أصلا لاستشهاد قدامة"[61].

وإضافة إلى أولئك العلماء العرب، يأتي في المرتبة الرّابعة عالم آخر من علماء البلاغة هو إسحاق بن إبراهيم بن وهب، صاحب كتاب "البرهان في وجوه البيان"

الذي نُسب خطأ إلى قدامة، فإنّه أطنب نسبيا في الإشارة إلى اليونان، وخاصّة أرسطو، الذي ذكره في النّقاط التّاليّة:

1- في باب الاختراع: وهو ما يستعمل في معنى ضيّق مرتبط بما نسمّيه وضع المصطلحات، فقد وقف من القضيّة موقفا متحررا مستندا إلى موقف أرسطو "[62] يقول : " وكل من استخرج علما، واستنبط شيئا، وأراد أن يضع له اسما من عنده ويواطئ من يخرجه إليه عليه، فله أن يفعل ذلك، ومن هذا الجنس اخترع النّحويّون اسم الحال والزّمان والمصدر والتّمييز، وأخرج الخليل ألقاب العروض، فسمى بعض ذلك "الطّويل"، وبعضه "المديد"، وبعضه "الهزج"، وبعضه "الرّجز"، وقد ذكر أرسطاطاليس ذلك وقال: إنّه مطلق لكل أحد احتاج إلى تسميّة شيء ليُعرَف به أن يسمّيه بما شاء من الأسماء[63].

2-في أنواع الاستدلال: في استعراضه لأنواع الاستدلال يناقش قضيّة الحجّة الشّعريّة، أمقنعة هي أم لا؟، فيحيل على كتاب الجدل لأرسطو معتبرا باستعماله شعر أميروس حجة في كتاب "السّياسة"[64]، حيث يقول: "وقد ذكر أرسطاطاليس الشّعر في كتاب الجدل، فجعله حجة مقنعة إذا كان قديما، واحتجّ في كثير من كتب السّياسة بقول أوميروس شاعر اليونان"[65].

3-قضيّة الصّدق والكذب في الشّعر: أمّا عن قضيّة الصّدق والكذب في الشّعر، فقد ربطها بأرسطو ثم علّق ذلك بقضيّة الصّياغة الشّعريّة، مما يدلُّ على أنّه فهم المسألة على وجهها واعتبر أنّ الكذب لا يتعلق بالمضمون ذاته وإنّما بالكيفيّة التي نحاكيه بها وتخيّله للسامع"[66]، يقول: "وللشاعر أن يقتصد في الوصف أو التّشبيه أو المدح أو الذّم، وله أن يبالغ، وله أن يسرف حتى يناسب قوله المحال ويضاهيه، وليس المستحسن السّرف والكذب، والإحالة في شيء من فنون القول إلاّ في الشّعر، وقد ذكر أرسطاطاليس الشّعر فوصفه بأنّ الكذب فيه أكثر من الصّدق وذكر أنّ ذلك جائز في الصّياغة الشّعريّة، وممّا اقتصد الشّاعر فيه قوله :[67]

يخبرك من شهد الوقيعة أنّني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وممّا بالغ فيه قوله: [68]

يطعنهم ما ارتموا، حتى إذا اطّعنوا ضارب، حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا"[69]

04-قضيّة الإيجاز والاختصار: ويظهر اطلاع ابن وهب على الفلاسفة اليونان من خلال اعتباره أنّ "أرسطو طاليس وإقليدس من أصحاب الإيجاز والاختصار وجالينوس وبوحنا النّحوي من أصحاب الشّروح والإطالة، وذكر في التّحذير من السّعاية والنّميمة وتحميل السّلطان على الرّعيّة، ما وقع بين أفلاطون وأرسطو بسبب ذلك، بشيء من التّفصيل"[70]. ولقد عدّ حمادي صمود جميع مظاهر التّأثر باليونان في نشأة البلاغة، والتي ذكرناها آنفا، عدَّهَا قضايا غير كافيّة، وهي في نظره " تبقى مجرّد إشارات محدودة كَمًّا، منحصرة في آثار مؤلفين قلائل، ولا تمسّ من قضايا الأدب والبلاغة الرّئيسيّة إلاّ جوانب قليلة، مع أنّ الإشارة إلى تلك المواقف لا يدل حتما على تبنيها والبناء عليها"[71]، وعلى هذا الأساس يشير حمادي صمود إلى مظاهر أخرى من تأثير اليونان في التّراث العربي على الرّغم من أنّ هاته المظاهر لا تكاد تشرك العرب في أيّ شيء من فضل البحث والدّراسة، وهو نفسه –أي صمود – يقرّ بهذا التّحامل الكبير على التّراث البلاغي العربي حيث يقول: "ولعلّه من المفيد قبل استعراض أوجه التّأثر التي وقعت الإشارة إليها أن نذكر بعض الخصائص العامة التي بدت لنا مشتركة بين هذه الأبحاث، فمنها أنّها تكاد تحصر البحث البلاغي في التّراث اليوناني، وتعتبر الحضارة اليونانيّة منطلق الحضارات بعدها في الفلسفة والعلم والفن كما أنّها تصدر عن تأويل خاص لحركة المدّ الحضاري ليس فيه أيّ اعتبار إلى أنّ الجنس البشري يتمتع بقاسم مشترك أعظم من الفطنة يوصلهم إلى نتائج متشابهة إن فكّروا في نفس الموضوع "[72]. والمظاهر التي أوردها صمود، والتي مالتّ كثيرا إلى اليونان على حساب العرب وقد أوردنا ردّ حمّادي صمود عليها هي كالآتي: 01-في البيان العربي، 02-مرتكزات الخطاب،03-خصائص اللغة، 04-مؤلّفات قدامة، وابن وهب، والجرجاني.

01-في البيان العربي: في رأي بعضهم، البيان العربي مدِينٌ منذ كان ملاحظات متناثرة إلى ما قد تسرّب في البيئة العربيّة من أفكار أجنبيّة عنه، وذهبوا في حديثهم عن القرن الثّاني وبداية الثّالث إلى أنّه عربي بمادته ولغته، ولكن قوام بنائه النّظري كان على مقولات أجنبيّة "[73]، ومثال ذلك قول طه حسين: "فمن اليسير أن نتبيّن في البيان العربي ثلاثة عناصر مختلفة، العنصر العربي وهو واضح شديد الوضوح، ثم

العنصر الفارسي الذي يميل إلى البراعة والظّرف في القول والهيئة، ثم العنصر اليوناني الذي يتّصل بالمعاني خاصّة من حيث دقتُها والعلاقة بينها وبين الألفاظ، أي من حيث المبدأُ الذي يدعو إليه أرسطو، مبدأ وجوب الملاءمة بين الخطبة وبين السّامعين لها"[74].

02-مرتكزات الخطاب: يعتقد حمادي صمود أنّ من العلماء المعاصرين العرب الذين ذهبوا هذا المذهب إبراهيم سلامة، وفي هذا النّص الذي بين أيدينا يبرز صمود بعض المفاهيم التي كانت تصبّ في ذات الموضوع، حيث يقول: "واعتبر بعضهم الآخر أنّ كثيرا من القوانين والمبادئ التي تتركز عليها نظريّة الخطاب عند البلاغيين، خاصّة المعتزلة، كمفهوم المنفعة، وربط المقال بالمقام، ومراعاة مقتضى الحال، أجنبيّة يمكن ردّها إلى السّوفسطائيين وإلى طريقة سقراط في توليد المعاني"[75].

03-خصائص اللغة: وأمّا عن خصائص اللغة فقد اخترنا قول صمود: "كما ربطوا تفطّن العرب إلى الفرق بين خصائص اللغة في الخطاب العادي وخصائصها في الخطاب الأدبي بنظريّة أرسطو في الفن الادبي عامّة ومفهوم الإضافة خاصّة وهو ركيزة الابتكار في تصوّره"[76].

04-مؤلّفات قدامة وابن وهب والجرجاني: وممّا يبرز العلاقة بين البلاغتين العربيّة واليونانيّة، والتي كانت محلّ نقاش عند حمّادي صمود، مؤلّفات الأعلام الثّلاثة (قدامة، وابن وهب، والجرجاني)، يقول: "فعند قدامة جاء حدُّ الشّعر صورة لوعيه بمستلزمات الحد مطلقا كما ضبطها المناطقة، ورغم سكوته عن أهم عنصر في تعريف الشّعر عند اليونان وهو المحاكاة، فقد رأى بعض الباحثين أنّه تدارك ذلك في باب نعت الوصف (...) أمّا بالنّسبة لابن وهب فقد أضافوا إلى الإحالات الصّريحة التي سبقت مظاهر أخرى يتّصل أوّلها بهيكل الكتاب وترتيب أقسامه، وهو نهج في التّأليف لا عهد للسابقين به، تأثّر فيه المؤلّف بترتيب الأقسام في كتاب الخطابة (...) وبالنّسبة لعبد القاهر الجرجاني، فقد جاء الموقف حوله على طرفين: طرف يؤكّد على تأثّره باليونان تأثّرا عميقا حتى وصفوه بأنّه لم يكن إلّا فيلسوفا يجيد شرح أرسطو والتّعليق عليه، وإن كان يقرّ بأنّ ذلك لم يأته مباشرة وإنّما عن طريق الفلاسفة المسلمين خاصّة ابن سينا، وبأنّ الجرجاني كان أصيلا في هذا الأخذ

صاحب جهود واجتهادات تحسب له في تاريخ البيان العربي، ويقف الطّرف الثّاني في ريبة من الأمر مؤسّسا موقفه على ثقة تامة في أخلاق الرّجل العلميّة، إذ لا يرى موجبا لسكوته عن اليونان في حين أنّه ذكر مصادره الأخرى"[77].

خاتمة: نخلص في آخر هذا المقال إلى أنّ دراسة حمادي صمود للبلاغة العربيّة قد مكّنتنا من معرفة ميادين عديدة عن كثب، كان لها الدّور البارز في نشأة البلاغة وهي ميادين طالما كانت محل الدّراسة في اللغة والادب العربي على حد سواء، بل إنّ منها ما يتعدى الأدب واللغة إلى مجال العلوم الإسلاميّة، ونحن نعني هنا "القرآن الكريم"، وعلى العموم فإنّ من النّتائج والملاحظات التي يمكن الإشارة إليها ما يلي:

01-يعد كتاب " التّفكير البلاغي عند العرب"، لحمادي صمود، من بين أهم كتب التّجديد والتّأريخ في البلاغة العربيّة.

02-عوامل نشأة البلاغة العربيّة عند حمادي صمود خمسة وهي: الشّعر والقرآن والتّقعيد، والتّعليم، والفلسفة.

03-للشعر العربي مكانة مرموقة تتعدى الجانب الأدبي إلى عدّة جوانب أخرى.

04-يقسّم حمادي صمود الشّعر العربي إلى ثلاثة أقسام هي: قسم المفاضلة وقسم التّنقيح، وقسم المباحث اللغويّة.

05-يَعتبر حمادي صمود نزول القرآن الكريم أهم حدث في تاريخ الشّعوب العربيّة والإسلاميّة.

06-من خصائص القرآن الكريم التي وردت في هذا البحث أنّه جمع بين البعد الرّوحي والبعد الدّنيوي، وأنّه تمتع بالحجة اللغويّة القويّة والدّامغة، وأنّه أيضا يمكن من الإعلام بالغيبيات.

07-تكتسي حركة جمع اللغة وتقعيدها أهميّة خاصّة في التّفكير البلاغي العربي.

08-من شروط التّقعيد التي وردت في هاته الدّراسة ما يلي: أ-تجنب العجمة ب-سلامة اللسان من اللكنة، جـ -ارتفاع اللهجة عن الطّرق المشينة في النّطق.

09-من الأسباب التي دعت إلى التّعلم والتّعليم ما يلي: أ-الابتعاد عن مهد اللغة العربيّة، ب-فساد اللسان العربي، جـ-دخول الأعاجم في الإسلام.

10-أدّت الحاجة للتعليم إلى تغيّر واضح في تركيبة المجتمع العربي برمّته وليس في البلاغة فقط.

11-من مظاهر تغير المجتمع ظهور ما يعرف بطائفة المؤدّبين.

12-تتعلّق المؤثّرات الأجنبيّة المقصودة في دراسات حمادي صمود أساسا بالفلسفة اليونانيّة.

13-يجمل حمّادي صمود مظاهر تأثير الفلسفة اليونانيّة في محورين اثنين محور تاريخي ومحور نصّي.

14-لقد نال كل من كتابي فن الشّعر والخطابة لأرسطو، حصّة الأسد في الدّراسات اليونانيّة التي انتقلت إلى العبريّة.

15-درس حمادي صمود في المحور النّصي عمل كل من الجاحظ في البيان والتّبيين، وابن وهب في البرهان في وجوه البيان.

16-على الرّغم من أنّ حمادي صمود اعتبر الفلسفة اليونانيّة من أبرز العلوم المؤثرة في نشأة البلاغة العربيّة، إلاّ أنّ البلاغة العربيّة عنده، و-عندنا أيضا -عربيّة المنشأ أكثر من أن تكون أجنبيّة.

قائمة المراجع:

- المؤلّفات:

01-(الجاحظ) البيان والتّبيين، الجزء الثّالثّ، تح: عبد السّلام محمّد هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، الطّبعة السّابعة، 1418ه/1998م.

02-(الجاحظ) الحيوان، الجزء الخامس، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الجاحظ، طنطا، مصر، الطّبعة الثّانيّة، 1384ه/1965م.

03-(ابن جني) الخصائص، الجزء الثّاني، تح: محمّد علي النّجار، دار الكتب المصريّة، مصر، الطّبعة الثّانيّة، 1371ه/1952م.

04-(واضح الصّمد)أدب صدر الإسلام، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1414ه/1664م.

05-(ابن وهب) البرهان في وجوه البيان، تح: محمّد حنفي شرف، مطبعة الرّسالة، الطّبعة الأولى، 1969م.

06-(حمادي صمود) التّفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السّادس (مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التّونسيّة، الطّبعة الأولى، 1981م.

07-(طه حسين) تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1980م.

08-(محمّد عبد الهادي أبو رندة)، إبراهيم بن سيّار النّظّام وآراؤه الكلاميّة الفلسفيّة، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، كليّة الآداب، جامعة فؤاد الأوّل، القاهرة مصر، ب ت.

09-(محمّد محمّد أبو شهيّة)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتّوزيع، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، الطّبعة الثّالثّة، 1407هـ/1987م.

10-(محمّد العمري)، البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشّرق المغرب الطّبعة الأولى، 1999م .

11-(محمّد قمبر)المؤدبون وصنعة التّأديب، دراسة في التّراث التّربوي الإسلامي ب ت .

12-(عمار حسن مرزوق)، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم عند المعتزلة مكتبة بستان المعرفة، مصر، الطّبعة الأولى، 1425هـ/2005م.

13-(عبد العزيز عتيق)، علم البيان، دار النّهضة العربيّة، لبنان، الطّبعة الأولى 1405هـ/1985م.

14-(صلاح فضل) علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، دار الشّروق، القاهرة مصر، الطّبعة الأولى، 1419هـ/1998م.

15-(القرطاجني) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة الدّار العربيّة للكتاب، تونس، فيفري 2008م.

16-(قدامة بن جعفر) نقد الشّعر، تح: عبد المنعم محمّد خفاجة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطّبعة الخامسة، ب ت.

17-(ابن رشيق القيرواني) العمدة في صناعة الشّعر ونقده، الجزء الأول، مطبعة العادة، مصر، الطّبعة الأولى،1225هـ/1907م.

الدّواوين:

18-(زهير بن أبي سلمى) الدّيوان، شرح وتقديم: الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1408هـ/1998م.

19-(كعب بن زهير) الدّيوان، تحقيق الأستاذ علي الفاعور، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م .

20-(أبي النّجم العجلي) الدّيوان، تح: محمّد عبد الواحد جمران، مجمع اللغة العربيّة، دمشق، سوريا، الطّبعة الأولى، 1427هـ/2006م.

21-(عنترة) الدّيوان، تح: محمّد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، كليّة الآداب جامعة القاهرة، آب 1965م.

المقالات:

22-(إبراهيم أحمد محمّد شويحط)، ومحمود سالم خريسات، حقيقة السّماع ومراحل تقعيد اللغة، مجلة دراسات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المجلد 44 العدد :04، الملحق : 02 ، 2017م.

23-(زرواق فؤاد)، أثر البلاغة اليونانيّة في البلاغة العربيّة، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمّد بوضياف، المسيلة، العدد الثّاني، 2017م.

24-(إبراهيم بن منصور التّركي،)، القول بالصّرفة في إعجاز القرآن الكريم-عرض ودراسة- ، مجلة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثّاني، رجب 1430هـ/ يوليو 2009م.

25-(محمّد أبو الأنوار)، التّراث الشّعري ودوره في مراحل تطور الشّع العربي مجلة جذور، جدة، المملكة العربيّة السّعوديّة، الجزء 14، المجلد 07 سبتمبر 2003م/رجب 1424هـ.

26- (عبد الرّحمن حميد ثامر)، المفاضلة بين الشّعراء في ضوء مقاييس النّقد العربي القديم، مجلة جامعة الأنبار للآداب، العراق، العدد الثّاني، 2010م .

الهوامش والإحالات:

[1] القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، فيفري 2008م، ص: 78.

[2] محمّد العمري، البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشّرق، المغرب، الطّبعة الأولى 1999م، ص: 08. (بتصرف).

[3] زرواق فؤاد، أثر البلاغة اليونانيّة في البلاغة العربيّة، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمّد بوضياف، المسيلة، العدد الثّاني، 2017م، ص: 204.

[4] الجاحظ، الحيوان الجزء الخامس، تح: عبد السّلان محمّد هارون، مكتبة الجاحظ، طنطا مصر، الطّبعة الثّانيّة، 1384هـ/1965م، ص: 590.

[5] ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشّعر ونقده، الجزء الأول، مطبعة العادة، مصر الطّبعة الأولى 1225هـ/1907م، ص: 32.

[6] محمّد أبو الأنوار، التّراث الشّعري ودوره في مراحل تطور الشّعر العربي، مجلة جذور جدة، المملكة العربيّة السّعوديّة، الجزء 14، الملجد07، رجب1424هـ سبتمبر 2003م ص: 103، 104.

[7] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس (مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التّونسيّة، الطّبعة الأولى 1981م، ص: 24.

[8] واضح الصّمد، أدب صدر الإسلام، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع بيروت لبنان، الطّبعة الأولى، 1414هـ/1664م، ص: 65، 66.

[9] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 25.

[10] ديوان أبي النّجم العجلي، تح: محمّد أديب عبد الواحد جمران، مجمع اللغة العربيّة دمشق، سوريا، الطّبعة الأولى 1427هـ/ 2006م، ص: 161، 162.

[11] عبد الرّحمن حميد ثامر، المفاضلة بين الشّعراء في ضوء مقاييس النّقد العربي القديم مجلة جامعة الانبار للآداب، العراق، العدد الثّاني، 2010م، ص: 106.

[12] ديوان كعب بن زهير، تح: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان 1417هـ/1997م، ص: 06.

[13] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 30.

[14] محمّد محمّد أبو شهبّة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتّوزيع، الرّياض المملكة العربيّة السّعوديّة، الطّبعة الثّالثّة، 1407هـ/1987م، ص: 06.

[15] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 33.

[16] نفسه، ص: 36. (بتصرف).

[17] نفسه، ص: 36.

[18] عمار حسن مرزوق، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم عند المعتزلة، مكتبة بستان المعرفة، مصر، الطّبعة الأولى 1425هـ/2005م، ص: 16.

[19] إبراهيم بن منصور التّركي، القول بالصّرفة في إعجاز القرآن الكريم–عرض ودراسة–مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثّاني، رجب 1430هـ–يوليو 2009م ص: 107.

[20] محمّد عبد الهادي أبو ريدة، إبراهيم بن سيّار النّظّام وآراؤه الكلاميّة الفلسفيّة، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، كليّة الآداب، جامعة فؤاد الأوّل، القاهرة، مصر، (ب، ت)، ص: 02، 03.

[21] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 38.

*أردنا بهذا أن نشير إلى أنّ نظريّة النّظم المنسوبة إلى عبد القاهر الجرجاني جاءت في خضم الصّراع الفكري والعقدي بين المعتزلة والأشاعرة في إطار الدّرس البلاغي، فنظريّة النّظم للجرجاني تهدف إلى تعزيز الفكري الأشعري، ضد منافسه ومعاصره ابن سنان الخفاجي.

[22] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 37.

[23] نفسه، ص: 39.

[24] الجاحظ، الحيوان، الجزء السّابع، ص: 50.

[25] عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى 1405هـ/1985م، ص: 12، 13. (بتصرف).

[26] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 44–46. (بتصرف).

[27] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 48.

[28] إبراهيم أحمد محمّد شويحط، حقيقة السّماع ومراحل تقعيد اللغة، ص: 157. (مرجع سابق).

[29] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 48.

[30] نفسه، ص: 49.

[31] نفسه، ص: 51.

[32] ابن جني، الخصائص، الجزء الثّاني، تح: محمّد علي النّجار، دار الكتب المصريّة مصر، الطّبعة الثّانيّة، 1371هـ/1952م، ص: 442.

[33] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 53.

[34] نفسه، ص: 54.

[35] نفسه، ص: 55.

[36] نفسه، ص: 55.

[37] نفسه، ص: 56.

[38] نفسه، ص: 75.

[39] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 60.

[40] نفسه، ص: 61.

[41] صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، دار الشّروق، القاهرة، مصر، الطّبعة الأولى 1419هـ/1998م، ص: 07.

[42] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 62.

[43] نفسه، ص: 64.

[44] نفسه، ص: 65.

[45] نفسه، ص: 66.

[46] الجاحظ، الحيوان، الجزء الأوّل، ص: 74.

[47] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 66.

[48] الجاحظ، الحيوان، الجزء الأوّل، ص: 74.

[49] نفسه، حمادي صمود، ص: 66.

[50] الجاحظ، الحيوان، الجزء الأوّل، ص: 89، 90.

[51] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 67.

[52] الجاحظ، الحيوان، الجزء الأوّل، ص: 290.

[53] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 67.

[54] نفسه، ص: 67.

[55] نفسه، ص: 69.

[56] الجاحظ، البيان والتّبيين، الجزء الثّالثّ، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة مصر، الطّبعة السّابعة، 1418ه/1998م، ص: 12، 13.

[57] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 70.

[58] نفسه، ص: 71.

[59] نفسه، ص: 71.

[60] قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تح: عبد المنعم محمّد خفاجة، درا الكتب العلميّة، بيروت لبنان، الطّبعة الخامسة، ص: 54.

[61] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 72.

[62] نفسه، ص: 73.

[63] ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمّد شرف، مطبعة الرّسالة، مصر الطّبعة الاولى، 1969م، ص: 126.

[64] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 73.

[65] ابن وهب، البيان في وجوه القرآن، ص: 134.

[66] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 73.

[67] ديوان عنترة، تح: محمّد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، كليّة الآداب، جامعة القاهرة آب 1964م، ص: 209.

[68] ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: الأستاذ علي حسن فاعور، ذار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1408ه/1988م، ص: 66.

[69] ابن وهب، البيان في وجوه القرآن، ص: 146، 147.

[70] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 74.

[71] نفسه، ص: 74.

[72] نفسه، ص: 76 (بتصرف).

[73] نفسه، ص: 76.

[74] طه حسين، تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، الطّبعة الاولى، 1980م، ص: 07، 08.

[75] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، ص: 77.

[76] نفسه، ص: 77.

[77] نفسه، ص: 77-80. (بتصرف).